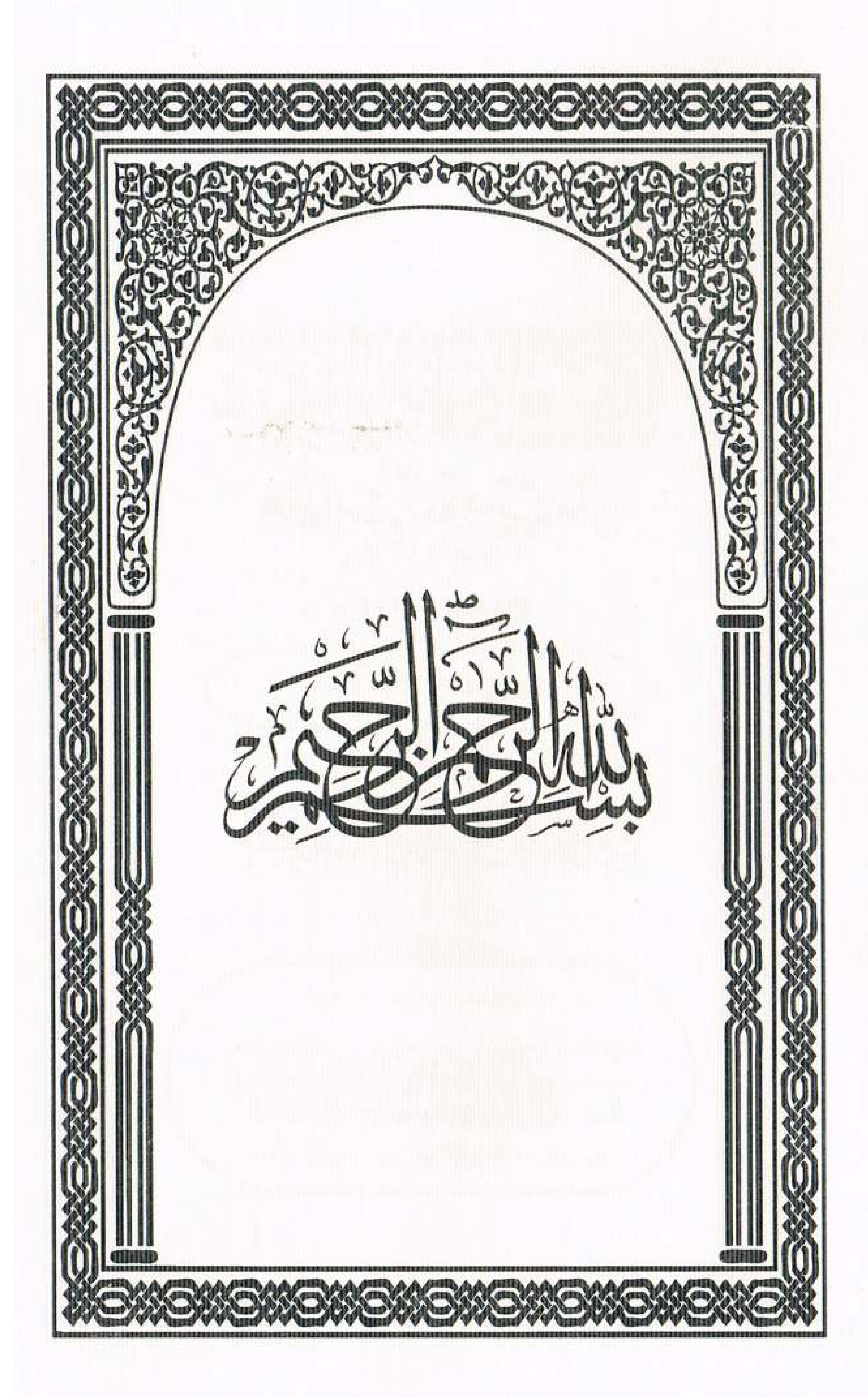
سقوط الأنظمة العربية

عظات وعبر

« كما تكونوا يولى عليكم »

تأليف
عبد الله بن صلفيق الظفيري




بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقدِّمةُ النَّاشِرِ

الحمدُ للهِ ربِّ العالمين، والصَّلاةُ والسَّلامُ علىٰ خَيْرِ خَلْقِ اللهِ أجمعين، وعلىٰ آلِهِ وصَحابَتِهِ الغُرِّ المَيَامِين، وعلىٰ أَتْبَاعِهِ المُكْرَمِين، ومَنِ اقْتَفَىٰ أَثَرَه، واسْتَنَّ بِسُنَّتِهِ، وَسَلَكَ سَبِيلَه إلىٰ يَوْمِ الدِّين، أَمَّا بَعْدُ:

فقد قالَ اللهُ سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرَّعد:١١].

وَقَالَ الطَّرطُوشِيُّ رحمه الله: «لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُون: «أَعْمَالُكُم عُمَّالُكُم، كَمَا تكُونُونَ يُولَّىٰ عَلَيْكُم»، إِلَىٰ أَنْ

ظَفِرْتُ بِهَذَا المَعْنَىٰ فِي القُرْآنِ؛ قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام:١٢٩](١).

وقال شيخُ الإسلامِ ابنُ تيميةَ طَيَّبَ اللهُ ثَراه: «إِنَّ مَصِيرَ الأَمْرِ إِلىٰ الملوكِ ونُوَّابِهم مِنَ الولاةِ والقُضاةِ والأُمَرَاءِ، ليس لِنَقْصٍ فِيهم فقط، بل لِنَقْصٍ فِي الرَّاعي والرَّعِيَّةِ جَمِيعًا؛ فإِنَّه «كَمَا تكُونُونَ يُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ»، وقد قال اللهُ تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام:١٢٩].

وَقَدِ استفاضَ وَتَقَرَّرَ فِي غيرِ هذا الموضِعِ ما قد أَمَرَ بِهِ ﷺ مِنْ طاعةِ الأمراءِ فِي غيرِ معصيةِ اللهِ، ومناصحتِهم والصَّبْرِ عليهم فِي حُكْمِهم وقَسْمِهم،

---

(١) «سِرَاجُ المُلُوكِ» (٢/ ٤٦٧، ٤٦٨).

والغَزْوِ معهم، والصَّلاةِ خَلْفَهم، ونَحْوِ ذلك مِنْ مُتَابَعَتِهم في الحسناتِ التي لا يَقوم بها إلا هم، فإنَّه مِنْ «بابِ التَّعاونِ علىٰ البِرِّ والتَّقْوَىٰ».

وما نهىٰ عنه مِنْ تَصْدِيقِهم بِكَذِبِهم، وإعانتِهم علىٰ ظُلْمِهم، وطاعتِهم في معصيةِ اللهِ، ونحو ذلك، مِمَّا هو مِنْ «بابِ التَّعاونِ علىٰ الإثمِ والعُدْوَانِ».

وما أَمَرَ به أيضًا مِنَ الأمرِ بالمعروفِ، والنَّهْيِ عن المُنْكَرِ، لهم ولِغَيْرِهم، علىٰ الوَجْهِ المشروعِ، وما يَدْخُلُ في ذلك مِنْ تبليغِ رسالاتِ اللهِ إليهم، بحيث لا يَتْرُكُ ذلك جُبْنًا، ولا بُخْلًا، ولا خَشْيَةً لهم، ولا اشتراءً للثَّمَنِ القليلِ بآياتِ اللهِ، ولا يَفْعَلُ أَيْضًا للرِّئاسةِ عليهم، ولا علىٰ العامَّةِ، ولا للحسدِ، ولا للكبرِ، ولا للرِّياءِ لهم، ولا للعامَّةِ.

ولا يُزَالُ المُنْكَرُ بما هو أَنْكَرُ منه، بحيث يُخْرَجُ

عليهم بالسِّلاحِ، وتُقَامُ الفِتَنُ، كما هو معروفٌ مِنْ أُصُولِ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، كما دَلَّتْ عليه النُّصوصُ النَّبَوِيَّةُ؛ لِمَا في ذلك مِنَ الفسادِ الذي يَرْبُو علىٰ فَسَادِ ما يكون مِنْ ظُلْمِهِم، بل يُطَاعُ اللهُ فيهم وفي غَيْرِهم، ويُفْعَلُ ما أَمَرَ بِهِ، ويُتْرَكُ ما نَهَىٰ عنه»[1].

هَذَا وَقَدْ تناوَلَ فضيلةُ الشَّيخِ عَبْدُ اللهِ بنُ صَلْفيق القاسميُّ الظَّفيريُّ -حَفِظَه اللهُ- في هَذه المحاضرةِ القَيِّمَةِ والمهمَّةِ، الحديثَ عن الحَدَثِ الأَبْرَزِ والجَلَلِ في العصرِ الحاضرِ، وهو سقوطُ بعضِ الأنظمةِ العربيةِ، فَشَخَّصَ الدَّاءَ، وبَيَّنَ أنَّ سُننَ اللهِ في التَّغْييرِ وإصلاحِ أحوالِ الأُمَمِ لا تَتبدَّلُ ولا تَتغَيَّرُ، فلا بُدَّ مِنْ إصلاحِ القاعدةِ قبلَ البدءِ بتغييرِ الأنظمةِ، وأنَّ أعمالَنا عُمَّالُنا.

---

(١) «مجموع الفتاوىٰ» (٣٥/ ٢٠، ٢١).

وذَكَرَ سببَ تَسَلُّطِ الحُكَّامِ علىٰ المحكومين، وأوضح أنَّ الخَلْقَ كُلَّهم مَرْبُوبون ومقهورون بسلطان المَلِكِ جَلَّ جلالُه، لا يَخْرُجُون عَنْ تَدْبِيرِه وقُدْرَتِهِ، ثم وَصَفَ العلاجَ الوحيدَ والناجعَ المُخْرِجَ مِمَّا يَعِيشُه النَّاسُ في هذه الآوِنَةِ مِنَ الفِتَنِ.

ولأَهمِّيَّةِ هَذه المُحَاضرةِ، ولحَاجَةِ الأُمَّةِ المَاسَّةِ إلىٰ أَمْثَالِ هذِهِ المحاضراتِ لإِصْلَاحِ الخَلَلِ الواقعِ، والرُّجُوعِ إلىٰ الحقِّ، قُمْنَا في دارِ «منارةِ الإسلامِ» بإِعْدَادِها للنَّشْرِ في هذِهِ الرِّسالةِ؛ لتَخْرُجَ في صُورَةٍ طَيِّبَةٍ تليقُ بها، بعدَ أَنْ عَرَضْنَاها عَلَىٰ شَيْخِنَا عبدِ اللهِ بنِ صلفيق الظَّفيريِّ -حَفِظَهُ اللهُ- لمُرَاجعَتِها، وذَلِكَ وَفْقَ الخُطُواتِ العِلْمِيَّةِ المَنْهجيَّةِ التَّاليةِ:

١- تَفْرِيغُ المُحَاضَرةِ، ومُرَاجعتُها مُراجَعةً لُغويَّةً دقيقةً.

٢- إثباتُ الآياتِ القرآنيةِ بالرَّسْمِ العُثْمَانيِّ، وعَزْوُها إلىٰ مواضعها في المصحف الشَّريف.

٣- تَخْريجُ الأحاديث، وعَزْو النُّقولات إلىٰ مصادرها من كتب أهل العلم.

٤- إضَافَة بَعْض التَّعليقات والنُّقولات المُهمَّة من كلام أهل العلم الَّتي تدعم كلام الشيخ حفظه الله، وتُوضِّحُهُ.

٥- وضع عنوانات لمحتويات الرسالة، وعمل فهرس لها؛ ليسهل علىٰ القارئ الوصول إلىٰ بُغيته بِيُسر.

والله مِنْ وَرَاء القَصْد، وهُوَ المُوفِّق والهَادِي إلىٰ سَوَاء السَّبيل.

وَصلَّىٰ اللهُ علىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ، وعَلَىٰ آلِهِ وصحبِهِ أَجْمَعِينَ.

الناشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سقوط الأنظمة العربية..عظات وعبر «كما تكونوا يولَّى عليكم»

[المقدمة]

الحَمْد لله ربِّ العَالَمين، مُعزِّ عِبَادَه المُؤمِنِينَ المُوحِّدينَ، ومُذِلِّ المُشْركينَ والعَاصِينَ، ومَنْ رَفَع رَايَاتِ الكُفْرِ وخَذَل الدِّينَ، كَتَب لعِبَادِهِ الصَّالحينَ العِزَّةَ والتَّمْكينَ، ووَعَدَهم بِالعَاقِبَةِ لمَنْ كَانَ مِنَ المُتَّقينَ، ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ ﴿١٣٢﴾﴾ [طه:١٣٢]، ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر:٥١]، ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ

وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾

[المنافقون:٨].

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسلَّم وبَارَك عَلَىٰ نَبيِّنا مُحمَّدٍ؛ الَّذي أعزَّ اللهُ به العَرَبَ بَعْد الذِّلَّة، ومَكَّنهُمْ في الأَرْض بَعْد الضَّعْفِ والفُرْقةِ، لَمَّا آمَنُوا به وَاتَّبعُوا كِتَابَه وسُنَّة نَبيِّه، وحَكَّموا الإسلامَ، وَلَمْ يَرْضَوْا بدَسَاتِير الغَرْب والشَّرْق، ووَحَّدوا اللهَ في قُلُوبِهمْ وفِعَالِهمْ، فلَمْ يَعْبدوا وليًّا، ولَمْ يُحكِّموا طَاغُوتًا.

صَلَّىٰ اللهُ عَلَيه وعَلَىٰ آلِهِ وأَصْحابِهِ، وَمَنْ تَبِعهُمْ بِإحْسَانٍ إلىٰ يَوْم الدِّينِ.

أَمَّا بَعْد:

سُنن الله لا تتبدل ولا تتغير

فإنَّ مِنْ سُنَنِ اللهِ الكَونيَّة أنَّ اللهَ لَا يُغيِّر مَا بِقَوْم حتَّىٰ يُغيِّروا ما بأَنْفُسِهِمْ(١)، وأنَّ اللهَ يُمْلي للظَّالِم حتَّىٰ إذَا أَخذه لَمْ يُفْلِتْه(٢)، وأنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ جعَل النَّاسَ في الأَرْض،

---

(١) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَىٰ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنفال:٥٣]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ﴾ [الرعد:١١].

(٢) أخرجه البخاري (٤٦٨٦)، ومسلم (٢٥٨٣) عن أبي موسىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إنَّ اللهَ لَيُملي للظالم حتَّىٰ إذا أخذه لم يُفْلِته»، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِيَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾﴾ [هود:١٠٢]».

وخَلَقهم ابتلاءً وامْتِحانًا[(١)]، فمَنِ اتَّقىٰ، وآمنَ، وعَمِلَ صالحًا؛ فإنَّ الله يُسْعدُهُ ويُحْييه حَياةً طَيِّبةً، ومَنْ كَفَر باللهِ، أَوْ عَصَىٰ رَبَّه، أو جَاهَره بمُبَارزتِهِ بالمَعَاصي أَوِ الشِّرْك والبِدَعِ؛ فإنَّ اللهَ تَعالىٰ يَغار عَلَىٰ مَحَارمِهِ[(٢)]؛ فيُمْهل لعبادِهِ أمدًا، فإنْ تَابُوا وأَنابُوا، وإلَّا فعُقُوباتُ الله مُتنوِّعةٌ وشديدةٌ؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف: ٩٦]، ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾﴾ [النحل: ٩٧].

---

(١) قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى ٱلْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾﴾ [الكهف:٧]، وقال عَزَّ وَجَلَّ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [الملك:٢].

(٢) أخرجه البخاري (٥٢٢٣)، ومسلم (٢٧٦١) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ اللهَ يَغار، وغَيْرة الله أن يَأتي المؤمنُ ما حَرَّم اللهُ».

[للكون إلهٌ يدبِّره]

عِبَادَ الله، إِنَّ تَقلُّباتِ الأَحْوال، وتَغيُّرات الأَوْضَاع لَمِنْ أَعْظَم العِبَرِ عَلَىٰ أنَّ المُلْكَ للهِ، وأَنَّ الخَلْقَ كُلَّهم تَحْتَ قَبْضتِهِ وحُكْمِهِ الكَونيِّ القَدَريِّ، لَا يَخْرجونَ عَنْ أَمْره قَدْرَ أُنْملةٍ، كَمَا قَالَ تعَالىٰ: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ (٢٩)﴾ [الرحمن:٢٩]، أَيْ: تَحْت قَدَره اليوميِّ، يُغْني هَذَا، ويُفْقِرُ هَذَا، ويُعزُّ هَذَا، ويُذلُّ هَذَا، ويُمْرِضُ هَذَا، ويَشْفي هَذَا، يُحْيي هَذَا، ويُمِيتُ هَذَا، يُعْطي هَذَا حُكْمًا، ويَسْلبُ ذَاكَ مُلْكًا، وهَكَذا العبادُ كُلُّهمْ تَحْت حُكْمِهِ، وتَحْت رُبُوبيَّتِهِ، والسَّعيدُ مَنْ وُعِظَ بغَيْره، وعَمِلَ لِمَا بَعْد المَوْتِ، فالعبادُ كُلُّهمْ

مَيِّتونَ ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الزمر:٣٠]، ولَكِنْ مَوْتَةٌ دُونَ مَوْتةٍ، وحَيَاةٌ دون حَياةٍ.

الحَياةُ الحَقِيقيَّةُ ما كَانَتْ للهِ، وَفِي الله، وبِاللهِ.

والمَوْتُ الَّذي يَشْرُف به العبدُ، ويَسْعد بَعْده ما كَانَ لله، وفي الله، وبالله، قَالَ تَعَالىٰ: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام:١٦٢، ١٦٣].

جَاءَ رَجُلٌ إلىٰ النَّبيِّ ﷺ يَسْأَلُهُ عن المِيتَةِ الشَّريفةِ، فَقَال لَهُ: الرَّجُلُ يُقَاتل للمَغْنم، والرَّجُلُ يُقَاتل للذِّكْرِ، والرَّجلُ يُقَاتل ليُرَىٰ مَكانَه، فمَنْ في سَبيلِ الله؟ فَقَالَ ﷺ: «مَنْ قَاتَل لِتكُونَ كلمةُ الله هي العُلْيَا فهُوَ في سَبيلِ الله»(١).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨١٠)، ومسلم (١٩٠٤) من حديث أبي موسىٰ الأشعري رضي الله عنه.

يَقُول الله عَزَّوَجَلَّ آمرًا نبيَّه أَنْ يُعلنَ للعالَمين أَنَّ المُلْكَ لله وَحْده، وأَنَّ العِبادَ تَحْت رُبُوبيَّته وتَدْبيره، فيَعْلم ذَلِكَ، ويَخْضع للمَلِكِ القَهَّار، ويُقرُّ لَهُ بالطَّاعَة والانْقيادِ لأَمْره الشَّرعيِّ، وأَمْره الكونيِّ، ويَسْأل رَبَّه التَّوفيقَ والسَّدادَ، والإعانةَ والرَّشادَ، ويَسْألونَه عَزَّوَجَلَّ السَّلامةَ والعَافِيَةَ؛ يَقُولُ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في أَعْظم ما يُبيِّن مُلْكه العَامَّ: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَتُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧].

يَقُول الشَّيخُ السَّعديُّ في تَفْسير هذه الآياتِ: «يَأْمُرُ تَعالَىٰ نَبيَّه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصلًا وغَيْره تبعًا أَنْ يَقُولَ عَنْ رَبِّه،

مُعْلِنًا بتَفرُّده بتَصْريفِ الأُمُور، وتَدْبير العَالَم العُلويِّ والسُّفليِّ، واستحقاقِهِ باخْتِصَاصِهِ بالمُلْك المُطْلق، والتَّصْريف المُحْكم، وأنَّه يُؤتِي المُلْكَ مَنْ يَشَاء، ويَنْزِع المُلْكَ مِمَّنْ يَشَاء، ويعزُّ مَنْ يَشَاء، ويذلُّ مَنْ يَشَاء، فلَيْس الأَمْر بأَمَاني أَهْل الكِتَابِ، ولَا غَيْرهم، بَل الأَمْر أَمْر الله، والتَّدْبير له، فلَيْسَ له مُعَارضٌ في تَدْبيره، ولا مُعَاونٌ في تَقْديره، وأنَّه كَمَا أنَّه المُتصرِّف بمُدَاولة الأَيَّام بَيْنَ النَّاس، فَهُو المُتصرِّف بنَفْس الزَّمَان»[١].

(١) «تفسير السعدي» (ص ٩٦٤).

[سبيل النجاة]

مَعْشَرَ المُؤمنين، إِنَّ الفوزَ والنَّجاةَ مِنْ مَهَاوي الرَّدَىٰ، ومِنَ المَصَائِبِ والمِحَنِ والبَلَاءِ، مَطْلَبُ كُلِّ مَخْلوقٍ قَدْ وَطِئ الحَصَىٰ، وَلَا سَبِيلَ إِلَىٰ ذَلِكَ إِلَّا بالهُدَىٰ والتُّقَىٰ، يقُول اللهُ تَعَالىٰ: ﴿ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ﴾ [الزمر:٦١].

فمَنِ اتَّقَىٰ اللهَ تَعَالىٰ، وامْتَثَل أمرَ الله، وَاجْتَنَبَ نَهْيه، نَجَّاه بمَفَازته إِذَا وَقَع في هَلَكَةٍ، ويَسَّر لهُ الخَلَاصَ من ذَلِكَ.

فالمُتَّقونَ -جعَلني اللهُ وإيَّاكُمْ مِنهم- هُمْ أَهْل النَّجاة مِنْ مَصائب الدَّهْر، ومِنْ مَهاوي الرَّدَىٰ، وشَاهِدُ ذَلِكَ مَا وَقَع ومَا يَقَعُ للمُتَّقينَ، وأَمَّا مَنْ لَا يَتَّقي اللهَ فإِنَّ الواقعَ يَشْهدُ بأَنَّ اللهَ يَخْذله في مَوْقفٍ هُوَ أَحْوجُ إلىٰ اللهِ ﷻ لَمَّا نَسِيَ اللهَ، نَسِيَهُ اللهُ تَعالىٰ.

هَذَا سَيِّدُ المُتَّقينَ مُحمَّدٌ ﷺ عِنْدَما خَرَج من مَكَّة ومَعَه صاحبُهُ أَبُو بَكْرٍ مُهَاجرين بدِينِهمَا، وكَانَتْ قريشٌ عَلَىٰ إِثْرِهِما؛ ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَـٰكِرِينَ ۝٣٠﴾ [الأنفال:٣٠].

لقَدْ نَجَّىٰ اللهُ نَبيَّه ﷺ وصَاحِبَه أَبَا بكرٍ، وكَانَتْ قُرَيشٌ عَلَىٰ رُؤوسِهِمْ في الغَارِ(١).

---

(١) قال الله ﷻ: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ =

يَقُول أبُو بَكْرٍ رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ: يَا رَسُولَ الله، لَوْ نَظَر أحدُهُمْ إلىٰ قَدمِهِ لأَبْصرنا، فيقُولُ له ﷺ المُتَّقي رَبَّه، المُتوكِّل علىٰ رَبِّه: «**لا تَحْزن، إنَّ اللهَ مَعنا، ما ظَنُّكَ يا أبا بَكْرٍ بِاثْنَينِ اللهُ ثَالِثُهُما**»(١).

فنَجَّىٰ اللهُ تَعَالىٰ نَبيَّه وصَاحِبَه من غَير أَنْ يَمسَّه سوءٌ، وذَلِكَ لَمَّا عَلِمَ اللهُ مِنْهُمْ حُسْنَ النِّيَّة، وصِدْقَ العَزِيمَةِ، وصَلَاحَ القَلْب وتَقْواه.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصْلحَ نِيَّاتنا، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُصْلحَ نِيَّاتنا، وأَنْ يُصدقَ عَزَائمنا، وأَنْ يُصْلحَ قُلُوبَنا، وأَنْ يَجْعلَنا مِنْ عِبادِهِ أَهْل التُّقَىٰ والهُدَىٰ.

= لِصَاحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾ [التوبة:٤٠].

(١) أخرجه البخاري (٣٦٥٣)، ومسلم (٢٣٨١).

وهَذَا نَبيُّ الله يُونُس ﷺ حَيْث ذَهَب عن قَوْمِهِ مُغَاضبًا لَهُمْ لَمَّا عَصوه، فرَكِبَ البَحْرَ، فثَقُلت بِهِم السَّفينةُ، فَاقْتَرع أَهْلُها أَيُّهم يُلْقَىٰ في البَحْر؛ لتَخِفَّ السَّفينةُ، ويَنْجو بَعْضُ مَنْ فيها، ولا يَهْلِك كُلُّهمْ، فوَقعتْ علَىٰ قومٍ فِيهِمْ نبيُّ الله يُونُس عليه السلام، فأُلْقوا في البَحْر، فالْتقَمَ الحوتُ يُونُسَ عليه السلام، فمَاذَا فعَل؟

لقَدْ لَجَأ إلىٰ الرَّحمنِ الَّذي مَنْ عَرَفه في الرَّخاء، عَرَفه في الشِّدَّةِ، فَاسْتَغاثَ ربَّه، ولَجأ إلَيْه، فنَادَىٰ بِدُعَاءِ الَّذي مَنْ دَعَا اللهَ به اسْتَجابَ اللهُ لَهُ ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء:٨٧]؛ فَاسْتَجابَ لَهُ ربُّ العَالَمينَ حَيْث نَفَعه تَقْواهُ وتَسْبيحُهُ لرَبِّه حَالَ الرَّخاءِ، فأَنْجاهُ الله من الغَمِّ، والهَلَكةِ، والمُصِيبةِ، فلَوْلَا أنَّه كانَ مِنَ المُسبِّحينَ للبَثَّ في بطنِهِ إلىٰ يَوْمِ يُبْعثونَ(١).

(١) قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ =

وفي المُقابل الَّذينَ تجبَّروا عَلَىٰ أَمْر رَبِّهِمْ، وطَغَوْا علىٰ شَرِيعَةِ الله، ماذَا حَصَل لهم عِنْدَ الشَّدَائد والكُرب؟

هَؤُلَاءِ قَوْمُ عادٍ، لمَّا انْتَهىٰ طُغْيانُهمْ وتكبُّرهُمْ علىٰ الله، تَولَّىٰ عَنْهم نَبيُّهمْ هودٌ عليه السلام، وحَذَّرهُمْ نُزُولَ العَذَاب، فجَاءَهُمْ العذابُ مُعْترضًا في الأُفُقِ، وكَانَ الوقتُ وَقْتَ شِدَّةٍ عظيمةٍ، وحاجةٍ شديدةٍ إلىٰ المَطَر،

=

عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء:٨٧]، وقال عز وجل: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾﴾ [الصافات:١٣٩- ١٤٨].

فلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ الَّذي هو عارِضٌ لهم اسْتَبْشَروا، وقَالُوا: هَذَا عارضٌ مُمْطرٌ، قالَ اللهُ: ﴿ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ﴾ [الأحقاف:٢٤].

وذَلِكَ عِنْدَما قَالُوا لنَبيِّهمْ: ﴿ فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الأعراف:٧٠]، ومَا الَّذي آتَاهُمْ؟ ﴿ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ﴾ [الأحقاف:٢٤]، تُدمِّر كلَّ شيءٍ تمرُّ عَلَيه، ﴿ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ ﴾ [الحاقة:٧]، ﴿ فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأحقاف:٢٥].

فكُلُّ مُجْرِمٍ مُعَانِدٍ لله، مُجَاهِرٍ بالمَعْصيةِ، يَسْتَقْصي شَرْعَ الله، ويُحَارِبُ اللهَ وَرَسُولَه، هو مُسْتحِقٌّ مِثْلَ ذَلِكَ، وهَؤُلَاءِ قومُ عادٍ بَعْد أَنْ كَانَت الدُّنيا لَهُمْ ضاحكةً، والعزُّ لَهُم بليغًا، ومَطَالب الحَياةِ مُتوفِّرةً،

وقَدْ خَضَع لهم مَنْ حَوْلَهم من الأَقْطَار والقَبَائل؛ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾ [فصلت:١٦]، ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ﴿٦٠﴾﴾ [هود:٦٠].

ونَجَّىٰ اللهُ هُودًا ومَنْ مَعَه مِنَ المُؤْمِنِينَ، إنَّ في ذلك لآيةً، لَعِبْرَةً، لمَوْعظةً، عَلَىٰ كَمَال قُدْرةِ الله، وعَلَىٰ إكرامِهِ لأَهْل الطَّاعة والصَّلاح.

وهَذَا فِرْعونُ ومَا أُوتِيَ من القُوَّةِ والجَبَرُوتِ، كانَ يَتخوَّف مِنْ ظُهُور الحقِّ عَلَىٰ يَدِ خُصُومِهِ، ففَعَل كلَّ ما في وُسْعه من الاحْتِيَاطَاتِ، ومِنْ جَمْع العُدَّة والعَتَاد، فجَعَل يَسْتضعفُ خُصُومَه، ويُقتِّل أَبْنَاءَهُمْ،

ويَسْتحيي نِسَاءَهمْ(١)، ولكِنْ مَشِيئةُ الله نَافذَةٌ، وقدرتُهُ قاهرةٌ؛ حَيْث أَهْلك اللهُ فِرْعونَ وجُنُودَه، وأَطْبق عَلَيهم البحرَ، وصَدَقَ اللهُ وَعْدَه لمُوسَىٰ ومَنْ مَعَه، وأعزَّ جُنْدَه، وتَحقَّقتْ إرادةُ اللهِ الكَونيَّةُ الَّتي أَخْبر عَنْها بقولِهِ: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦ ﴾ [القصص:٥، ٦]. مَا كَانُوا يَصْنعونَ، مَا كَانُوا يُخَطِّطونَ، ولكن يَمْكُرونَ، ويَمْكرُ الله، واللهُ خيرُ المَاكِرينَ.

فيَا عِبَادَ الله، اتَّعِظُوا واعْتَبِرُوا بِمَا حَوْلكُمْ مِنَ

---

(١) قال الله ﷻ: ﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝٤ ﴾ [القصص:٤].

الأَحْداثِ، وَاعمَلوا لِمَا خُلِقْتُمْ لَهُ من الطَّاعة والانْقِيَادِ لشَرْع الله؛ فإنَّه لَا نَجاةَ للمَرْءِ في مُتقلَّباتِ الحَيَاة، وللفَوْز بالدَّار الآخِرَةِ، إلَّا بطَاعَةِ الله، وتَحْكيم الإِسْلام ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٖ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الحج:٣٨]، ﴿ وَٱلۡعَصۡرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ [العصر].

[أعمالنا عُمَّالُنا]

عِبَادَ الله، يَقُولُ عُمَر بن الخَطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَمَا تَكُونُوا يُوَلَّىٰ عَلَيكُمْ»(١).

---

(١) أخرجه الديلمي في «الفردوس» (٣/ ٣٠٥) (٤٩١٨) عن أبي بكرة مرفوعًا، والبيهقي في «الشعب» (٩/ ٤٩٢) (٧٠٠٦) بنحوه، عن أبي إسحاق مرسلًا، وضعفه الألباني رَحِمَهُ اللهُ في «الضعيفة» (٣٢٠)، وذكره السَّخَاوي في «المقاصد الحسنة» (ص ٦٨٩)، وقال: «أَوْرَدَه الحافظُ الصَّريفيني في بعض أجزائه من قول عمر بن الخطاب، وقال: قال محمد بن أيوب: ارتحلتُ إلىٰ يحيىٰ بن هشام الغَساني مِن أجله».
وَقَالَ الطَّرْطُوشِيُّ رَحِمَهُ اللهُ فِي «سراج الملوك» (٢/ ٤٦٧، ٤٦٨): «لَمْ أَزَلْ أَسْمَعُ النَّاسَ يَقُولُون: «أَعْمَالُكُم عُمَّالُكُم، كَمَا =

=

تكُونُونَ يُولَّىٰ عَلَيْكُم»، إِلَىٰ أَنْ ظَفِرْتُ بِهَذَا المَعْنَىٰ فِي القُرْآنِ؛ قال الله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ١٢٩﴾ [الأنعام:١٢٩].

وَكَانَ يُقَال: «مَا أنكَرتَ مِنْ زَمَانِكَ فَإِنَّمَا أَفْسَدَهُ عَلَيْكَ عَمَلُك».

وقَالَ **عَبْدُ المَلِك بْنُ مَرْوَان**: «مَا أنصَفْتُمُونَا يَا مَعْشَرَ الرَّعِيَّة، تُرِيدُونَ مِنَّا سِيرَةَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَلَا تَسِيرُونَ فِينَا وَلَا فِي أنفُسِكُم بِسِيرَتِهِمَا».

وقَالَ قَتَادَة: «قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيل: إِلَهَنَا، أنتَ فِي السَّمَاء وَنَحْنُ فِي الأَرْضِ، فَكَيْفَ نَعْرِفُ رِضَاكَ مِنْ سَخَطِك؟ فَأَوْحَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ إِلَىٰ بَعْضِ أنبِيَائِهِم: إِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُم خِيَارَكُم، فَقَدْ رَضِيتُ عَنكُم، وَإِذَا اسْتَعْمَلْتُ عَلَيْكُم شِرَارَكُم، فَقَدْ سَخِطْتُ عَلَيْكُم».

وَقَالَ **عَبيدة السلماني لِعَلِيِّ بن أبي طالب** رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: يا أميرَ المؤمنين، مَا بَالُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ انْطَاعَ النَّاسُ لَهُمَا، والدُّنْيَا عَلَيْهِمَا أَضْيَقُ مِن شِبْرٍ فَاتَّسَعَتْ عَلَيْهِمَا، وَوليتَ أنتَ وَعُثْمَان الخِلَافَةَ وَلَم يَنطَاعُوا لَكُمَا، وَقَد اتَّسَعَتْ فَصَارَتْ عَلَيْكُمَا أَضيقَ مِن شِبْرٍ؟! فقال: لِأَنَّ رَعِيَّةَ أبي بَكْرٍ وَعُمَر كَانُوا مِثْلِي وَمِثل عُثْمَان، ورَعِيَّتِي أنا اليَوْمَ مِثْلك وشَبَهُك!

وكَتَبَ أَخٌ لمُحَمَّد بن يُوسُف يشْكُو إِلَيْه جَوْرَ العُمَّالِ، فَكَتَبَ

=

=

إِلَيه مُحَمَّد بنُ يُوسُف: «بَلَغَنِي كِتَابُكَ، وتَذْكُر مَا أَنْتم فيه، وَلَيسَ يَنْبغِي لِمَنْ يَعْمَل المَعْصِيةَ أن يُنكرَ العُقُوبةَ، وَلَمْ أَرَ مَا أنتم فِيه إِلَّا مِن شُؤْمِ الذُّنُوبِ، والسَّلام».

ويقول **شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ في «**مجموع الفتاوى**» (٣٥/ ٢٠): «وَقَدْ ذَكَرْتُ في غَيْرِ هَذَا الموضع أَنَّ مَصِيرَ الأَمْرِ إِلَىٰ المُلُوكِ ونُوَّابِهِم مِن الوُلاَةِ والقُضَاةِ والأُمَرَاءِ لَيْسَ لِنَقْصٍ فِيهِمْ فَقَطْ، بَلْ لِنَقْصٍ فِي الرَّاعِي والرَّعِيَّةِ جَمِيعًا؛ فَإِنَّهُ «**كَمَا تَكُونُونَ يُوَلَّىٰ عَلَيْكُمْ**»، وقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًا﴾ [الأنعام:١٢٩].

وقَد اسْتَفَاضَ وتَقَرَّرَ فِي غَيْرِ هَذَا المَوْضِعِ مَا قَدْ أَمَرَ بِهِ ﷺ مِنْ طَاعَةِ الأُمَرَاءِ فِي غَيْرِ مَعْصِيَةِ الله، ومُنَاصَحَتِهِمْ، والصَّبْرِ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِمْ وقَسْمِهِمْ، والغَزْوِ مَعَهُمْ، والصَّلاةِ خَلْفَهُمْ، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِنْ مُتَابَعَتِهِمْ فِي الحَسَنَاتِ الَّتِي لاَ يَقُومُ بِهَا إِلَّا هُمْ؛ فَإِنَّهُ مِنْ بَابِ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ البِرِّ والتَّقْوَىٰ، وَمَا نَهَىٰ عَنْهُ مِنْ تَصْدِيقِهِمْ بِكَذِبِهِمْ، وإِعَانَتِهِمْ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ، وطَاعَتِهِمْ فِي مَعْصِيَةِ الله، وَنَحْوِ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ مِنْ بَابِ التَّعَاوُنِ عَلَىٰ الإِثْمِ والعُدْوَانِ.

ومَا أَمَرَ بِهِ أَيْضًا مِن الأَمْرِ بِالمَعْرُوفِ والنَّهْيِ عَن المُنْكَرِ لَهُمْ ولِغَيْرِهِمْ عَلَىٰ الوَجْهِ المَشْرُوعِ، ومَا يَدْخُلُ فِي ذَلِكَ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالاتِ الله إِلَيْهِمْ، بِحَيْثُ لاَ يَتْرُكُ ذَلِكَ جُبْنًا ولاَ بُخْلًا ولاَ

=

=

خَشْيَةً لَهُمْ ولاَ اشْتِرَاءً لِلثَّمَنِ القَلِيلِ بِآيَاتِ الله، ولاَ يَفْعَلُ أَيْضًا لِلرِّئَاسَةِ عَلَيْهِمْ ولَا عَلَىٰ العَامَّةِ، ولَا لِلحَسَدِ، ولاَ لِلكِبْرِ، ولَا لِلرِّيَاءِ لَهُمْ ولَا لِلْعَامَّةِ.

ولَا يُزَالُ المُنْكَرُ بِمَا هُوَ أَنْكَرُ مِنْهُ، بِحَيْثُ يُخْرَجُ عَلَيْهِمْ بِالسِّلاحِ وتُقَامُ الفِتَنُ، كَمَا هُوَ مَعْرُوفٌ مِنْ أُصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ والجَمَاعَةِ كَمَا دَلَّتْ عَلَيْهِ النُّصُوصُ النَّبوِيَّةُ؛ لِمَا فِي ذَلِكَ مِن الفَسَادِ الَّذِي يَرْبُو عَلَىٰ فَسَادِ مَا يَكُونُ مِنْ ظُلْمِهِمْ».

وما أحسن كلامَ تِلميذِه ابن القيِّم رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «مفتاح دار السَّعادة» (١/ ٢٥٣، ٢٥٤)، وكأنَّه يتحدَّث عن زمَاننا وأبناء جنْسِنَا: «وتأمَّلْ حِكمتَه تعالىٰ في أن جعَلَ مُلوكَ العِبادِ وأُمراءَهم ووُلَاتَهم مِن جِنس أَعمالِهم، بل كأنَّ أَعمالَهم ظهرَت في صُوَر وُلَاتهم ومُلوكِهم، فإن استقامُوا استقامَت مُلوكُهم، وإن عدَلوا عدلَت علَيهم، وإن جارُوا جارَت مُلوكُهم ووُلَاتُهم، وإن ظهَرَ فيهم المَكرُ والخَديعةُ؛ فوُلاتُهم كذَلكَ، وإن مَنَعوا حُقوقَ الله لدَيهم وبَخِلوا بها، مَنعَت مُلوكُهم ووُلَاتُهم مَا لهم عندَهم مِن الحقِّ وبَخِلوا بها علَيهم، وإن أَخَذوا ممَّن يَستَضعِفونه مَا لَا يَستَحقُّونه في مُعاملتِهم، أَخذَت مِنهم المُلوكُ مَا لا يَستَحقُّونه، وضَرَبَت علَيهم المُكوسَ والوَظائفَ.

=

وكلُّ مَا يَستَخرِجونَه مِن الضَّعيفِ، يَستَخرِجُه الملوكُ مِنهم بالقوَّةِ، فعمَّالُهم ظهَرَت في صُوَر أعمالِهم، وليسَ في الحِكمةِ الإلهيَّةِ أن يُوَلَّىٰ علىٰ الأشرارِ الفجَّارِ إلَّا مَن يَكونُ مِن جِنسِهم، ولمَّا كانَ الصَّدرُ الأوَّلُ خِيارَ القُرونِ وأبرَّها كانَت ولَاتُهم كذَلكَ، فلمَّا شابُوا شابَت لهم الولاةُ، فحِكمةُ الله تَأبَىٰ أن يُوَلَّىٰ علَينا في مِثل هَذهِ الأَزمانِ مِثلُ مُعاويةَ وعُمرَ بنِ عَبدِ العَزيز فَضلًا عن مِثل أبي بَكرٍ وعُمرَ، بَل ولَاتُنا علىٰ قَدْرنا، ووُلَاةُ مَن قَبلَنا علىٰ قَدرِهم، وكلٌّ مِن الأَمرَين مُوجِبُ الحِكمةِ ومُقتَضاها، ومَن له فِطنةٌ إذَا سافَرَ بفِكرِه في هَذا البابِ، رأَىٰ الحِكمةَ الإلهيَّةَ سائرَةً في القَضاءِ والقَدَر ظَاهرةً وبَاطنةً فيهِ، كما في الخَلقِ والأَمرِ سَواء.

فإيَّاكَ أن تظنَّ بظنِّك الفاسدِ أنَّ شَيئًا مِن أَقضيتِه وأَقدارِه عارٍ عن الحِكمةِ البَالغةِ، بل جَميعُ أَقضيَتِه تَعالىٰ وأَقدارِه وَاقعةٌ علىٰ أتمِّ وُجوهِ الحِكمةِ والصَّوابِ، ولَكنَّ العُقولَ الضَّعيفةَ مَحجوبةٌ بضَعفِها عن إدراكِها، كما أنَّ الأَبصارَ الخفاشيَّةَ مَحجوبةٌ بضَعفِها عن ضَوءِ الشَّمس، وهَذهِ العُقولُ الضِّعافُ إذَا صادَفَها الباطِلُ جالَتْ فيه وصالَتْ ونطقَتْ وقالَتْ، كما أنَّ الخفَّاش إذَا صادَفَه ظلَامُ اللَّيل، طارَ وسار».

إنَّ الأَنظِمةَ التي حَكَمت الدُّولَ العَربيَّةَ علىٰ مرِّ خَمسين سنةً، والتي بَدأتْ بالانقِلاباتِ العَسكريَّة، أَنظمَة اشْتراكيَّة، وأَنظِمَة بعثيَّة، وأنظِمَة رأسماليَّة، وأنظمَة تَسيرُ علىٰ القَوميَّة العَربيَّة، هي في الحَقيقةِ تَحكَّمت علىٰ رِقابِ المُسلِمين بِسبَب ذُنوبِهم، وبِسبَب بُعدِهم عن طَاعةِ اللهِ وعن طاعَةِ رَسولِه والبُعدِ عن التَّوحيدِ والسُّنَّة والإيمانِ، فكَما تكونوا يُولَّىٰ علَيكم.

[سبب تسلط الحكام على المحكومين]

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ﴾ [الرعد:١١]، هذه الأَنظمَةُ الفَاشِلةُ الدِّيكتاتُوريَّة جاءت بسَببِ ذُنوب العِبادِ، والبُعدِ عنْ شَرع اللهِ، والبُعْد عن هَدي القُرآنِ والسُّنَّة، تَسلَّطَت علىٰ رِقابِ المُسلمين والعَربِ، ومِن وَرائها الماسُونيَّة اليَهوديَّة، والحَركاتُ الصُّهيُونيَّة، مَكروا بالمُسلمين، ولم يَردَّ اللهُ مَكرَهم عن المُسلمين بسَببِ ذُنوب المُسلمين، فتَحكَّمت تلك الأَنْظمَةُ الفَاشلةُ، وتلك الدِّكْتاتُوريَّات الظَّالمَة علىٰ رِقابِ العَرب والمُسلمين، ولا عزَّةَ للمُسلمين

ولا عِزَّة للعَرب ولا تَمكينَ لهم في الأرضِ ولا غَلبَةَ علىٰ اليَهودِ والنَّصارىٰ إلا بالرُّجوعِ إلىٰ اللهِ تَعالىٰ.

المُسلمون اليومَ مُنْشغِلون كلَّ الانْشِغال عن طاعَةِ ربِّهم وعَن عِبادَةِ ربِّهم، رَكضًا وراءَ الإعلَامِ، بجَمِيع أنواعِه وفسادِه، الإعلامِ السِّياسِي، الإعلَام الاجْتِماعيِّ، والإعلَام الأَخلاقِي، رَكْضًا وَراءَ هذه القَنَواتِ الفَاسدةِ، ولا رُجوعَ إلىٰ اللهِ تعالىٰ.

[المخرج من الفتن الواقعة]

اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ليس بَينه وبين العِبادِ نسبًا، حتىٰ يُذلَّ هذا، أو يُعِزَّ هذا، وإنَّما هو بالتَّقوىٰ والإيمانِ، وطَاعةِ اللهِ وطَاعةِ رَسولِه، ﴿ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ ﴾ [محمد:٧]، ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنًاۚ يَعۡبُدُونَنِي لَا يُشۡرِكُونَ بِي شَيۡـٔٗاۚ ﴾ [النور:٥٥]، إنَّ الحركاتِ الصُّهيونِيَّة، الحرَكات المَاسُونيَّة، مُنذ بدايَةِ هذا القرْن، تُخطِّطُ لِتدمِير المُسلمين، فتَأتي بحَاكِمٍ ثُمَّ تَضعُ له

أمدًا، فإنْ رَأوا أنَّ الأَمَد انتهىٰ، وأنَّ الخُطَّةَ مِن وُجودِه انتهَت، أَشغَلوا النَّاسَ بخُطَطٍ كالمُظاهَراتِ وغَيرِها، لإسْقاطِ هذا الحَاكِم، فيَظنُّ المُسلمون الحَاكِم والمَحكُوم أنَّهم في قُوَّة أَنزَلُوا هذا الحَاكِمَ، وفي قُوَّة أتَوْا بهذا الحَاكِم، والمَساكِين لا يَعلمُون أنَّ الجَميعَ يَسيرُ تَحت خُططٍ يَهوديَّة، خُطَط مُؤَزَّرة مَدرُوسَة.

إنزالُ هذا الحَاكِم، وإتيان بهذا الآخَر، إنَّ الوَاجبَ علينا أيُّها المُسلمون أنْ نَعرِفَ حقَّ ربِّنا عَلينا الذي يَسمَعُنا ويَنصُرُنا مِن فوقِ سبع سَموات، وأَنزل لنا كِتابًا نَعملُ به، وأرسلَ لنا نبيًّا رَؤوفًا رَحيمًا لِنَتحاكَمَ له، وجَعل اللهُ مِن سُنَّته الكَونيَّة، أنَّ العزَّةَ والتَّمكينَ والغَلبةَ للمُسلِمين إنَّما يكونُ بالكِتاب والسُّنَّة، وإنما يكونُ بالتَّوحيدِ والإيمانِ، لا يكونُ بشِعارَاتٍ برَّاقَةٍ، وأَنظِمَة فَاشلةٍ، ورَكضٍ وَراءَ الغَرب خَمسين سَنةً أو أَكثَر.

يَحكُم البلادَ العَربيَّةَ أَنظِمةٌ طاغِيَةٌ، وأَنظمَةٌ فَاشِلةٌ، أَتت

بها الإِمْبراليَّة اليَهودِيَّة، والمَاسونيَّة اليَهوديَّة النَّصرانيَّة.

وَلمَّا جاء وَقتُ ذَهابِهِم وتَنفِيذ الخُطَّة القَادِمَة، أَشعلُوا الجَماهِيرَ العَربيَّة، ﴿وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضًۢا﴾ [الأنعام:١٢٩].

ذَهبَ عُمرُ بنُ الخطَّاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لِيَأْخُذَ مَفاتيحَ المَسجِدِ الأَقصَىٰ مِن القَساوِسَة، من اليَهودِ والنَّصارىٰ، مِن الرُّوم، وكان يَسيرُ علىٰ بَغلتِه ويَتخبَّطُ بِرجلَيْه علىٰ المَاءِ، ومَعه أبو عُبيدَةَ بنُ الجرَّاحِ، فقال له: يا أَميرَ المُؤمِنينَ، لَو لَبِستَ شيئًا، لِمُقابلَةِ الوُفودِ مِن الرُّوم، فنَظرَ إليه نَظْرةَ المُعتَزِّ باللهِ، قال: «وَيحَكَ يا أبا عُبيدةَ، واللهِ لَو غَيرُكَ قالَها، لَجَلدْتُه، نحنُ قومٌ أعَزَّنا اللهُ بالإسلَامِ، فإنِ ابْتغَيْنا العِزَّةَ بغَيرِه أذَلَّنا اللهُ»[1].

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (١/ ١٣٠) (٢٠٨)، وصححه، عن طارق بن شهاب قال: «لَمَّا قَدِم عمرُ الشامَ لَقِيه الجنودُ، وعليه إِزَارٌ وخُفَّان وعمامة، =

نَعم، نَقولُها بِمِلءِ أَفواهِنا، لِكُلِّ صَغيرٍ وكَبيرٍ ولِلحاكِمِ والمَحكومِ: إنَّه لا عِزَّةَ لِلعَربِ، ولا عِزَّةَ للمُسلمينَ إلَّا بالرُّجوعِ إلىٰ دِينِ مُحمَّد ﷺ، وإلىٰ الرُّجوعِ إلىٰ القُرآنِ، وسُنَّةَ النَّبيِّ مُحمَّد ﷺ، أمَّا أنَّنا نَجري ورَاءَ الإعلَامِ ونَنظُرُ إلىٰ الأَخبارِ هُنا وهُناك، ولَا نُؤدِّي صَلاةَ الفَجرِ، ولَا نَقومُ اللَّيلَ، ولَا نَتحاكَمُ إلىٰ القُرْآنِ والسُّنَّة، فالوَيلُ لنا، وإنَّما العَاقبَةُ للتَّقوىٰ.

اللهم أعز الإسلام والمسلمين

اللهم رد المسلمين إلى دينهم ردا جميلا

اللهم عليك بهذه الأنظمة الفاشلة

=

وهو آخذٌ برأس بعيرِه، يَخوضُ الماء. فقال له– يعني قائل–: يا أمير المؤمنين، تَلْقَاكَ الجنودُ وبَطَارقة الشام، وأنت علىٰ حالك هذا؟ فقال عمر: إنَّا قَوْمٌ أعزَّنا اللهُ بالإسلام؛ فلن نبتغي العِزَّ بغيره».

الفهرس